الـمحاضرة السادسة :

مظاهر الحياة الثقافية في الجزائر خلال الاستعمار الفرنسي

- **الصحافة**

1-المجلات الفرنسية:

بالنسبة للمجلات الفرنسية، ظهرت كذلك في الجزائر نماذج عديدة منها، هناك المجلات العلمية والتاريخية والمتخصصة، وهناك المجلات الأدبية والمصورة والفنية وقد ذكر البعض أنه كان بالجزائر حوالي 10 مجلات في شتى التخصصات.

–وأول مجلة باللغة العربية في الجزائر ظهرت سنة 1906 على يد امرأة فرنسية تسمى جوان ديريو.

2-نشأة الصحف الجزائرية:

وقد مرت الصحف الجزائرية بثلاث مراحل الأولى قبل الحرب العالمية الأولى وعلى وجو التقريب من:

المرحلة الاولى : 1890-1914

المرحلة الثانية 1919-1939

المرحلة الثالثة 1940-1956

ونذكر من بين الصحف التي ظهرت في المرحلة الأولى ما يلي: جريدة المغرب التي ظهرت سنة 1903 بإشراف مطبعة فونتالة.

–أما المرحلة الثانية من ظهور وتطور الصحافة الجزائرية فقد بدأت منذ 1919 وميزها اختفاء كل الصحف التي ذكرنا بسبب الحرب عدا الصحف الفرنسية الصادرة من الإدارة أو التي كان يديرها المستوطنون.

–وابتداء من سنة 1919 ظهرت عدة صحف منها جريدة (الإقدام) التي كانت تعبر عن حركة الأمير خالد السياسية الوطنية.وفي الاتجاه المقابل أو المعارض للأمير خالد ظهرت جريدة (النصيح) بتحرير بعض خصومه، كما تولى الدكتور بلقاسم بن التهامي تحرير جريدة (التقدم) التي عبرت عن الاتجاه الاندماجي.

–ومنذ 1933 أصدرت جمعية العلماء صحفها الخاصة، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر (الشريعة) و(الصراط) و(السنة) و(البصائر).

3-الصحف السياسية والاندماجية:

أما الصحف السياسية فتتميز بخاصيتين وهما التنوع واللغة الفرنسية.

4-المجلات العربية:

أما المجلات التي ظهرت باللغة العربية فقد كانت قليلة، ولعل السبب في قلة المجلات عدم توفر المادة والإطار معا.

5- الإذاعة و التلفزيون و السينما:

- عرفت الجزائر **الإذاعة** عام 1925م عندما قام أحد الفرنسيين بإنشاء محطة إرسال على الموجة المتوسطة، لم تتعد قوتها 100 كيلووات، ثم أقيمت محطتين للإرسال في قسنطينة واحدة تذاع بالفرنسية والأخرى بالعربية .وعليه فالإذاعة آنذاك كانت تحت سيطرة الحكومة الفرنسية، وكانت تابعة لها، حتى 1945م وفي هذا الصدد يقول زهير إحدادن:"أثناء هذه الفترة الاستثنائية أصبح الإشراف السياسي موزعا بين الحاكم العام للجزائر وبين الحكومة الفرنسية، من جهة أخرى قدمت للحاكم العام امتيازات خاصة.
- تعود نشأة **التلفزيون** في الجزائر إلى الفترة الاستعمارية، وبالضبط في 24 ديسمبر1956، حيث أنشأت السلطات الاستعمارية محطة التلفزيون بالجزائر العاصمة، وذلك دعما لمحطة الراديو التي أنشأتها لتعبئة الشعب الجزائري ضمن الأطر التي يرغبها، وبث البرامج الفرنسية الكفيلة بانتزاع القيم الوطنية والدينية لدى الشعب الجزائري ، لذلك لم تكن المحطة إلا مجرد محطة إرسال فرنسية تعتبر صدى لمحطات التلفزة الفرنسية هناك في باريس، دوافعها الاستجابة للحاجيات الثقافية والفنية والترفيهية لحشود المعمرين، في حين يستعمل كعامل للقهر السيكولوجي والاجتماعي للشعب الجزائري ممن يستطيعون مشاهدة جهاز التلفزيون آنذاك.
- ظهرت **السينما** في آخر القرن19، ووصل نشاط المخرجين الفرنسيين إلى الجزائر، وأخذوا يصورون فيها الأفلام القصيرة والوثائقية ونحوها .

لقد ولدت السينما الجزائرية في ظروف صعبة لكنها استطاعت أن تسير بخطى ثابتة نحو الأمام والتزمت بقضايا الشعب والوطن ورغم حرص قيادة جبهة التحرير على حفظ أشرطتها إلا أنها كانت ملتزمة بحفظ هذه الأشرطة خارج البلد في العديد من الدول الاشتراكية وبعض الدول الأوروبية التي كانت مساندة للقضية الوطنية مثل ايطاليا .

شكلت الثورة الجزائرية مادة دسمة لما إحتوته من صراع بين المستعمر الغاشم والشعب الثائر وهذا ما جعل الكثير من الجزائريين والفرنسيين يهتمون بترجمة تلك الفترة إلى مجموعة من الأعمال السينمائية كل حسب اتجاهاته وأيديولوجيته خاصة الجانب الفرنسي . الأمر الذي

جعل الطرف الجزائري الممثل في قادة الثورة يولون أهمية للوسائل الإعلامية عامة وللسينما خاصة وهذا ما أكدته مواثيق الثورة .

6- المكتبات:

1-6 المكتبة العمومية (الوطنية) : أسس الفرنسيون نواة المكتبة العمومية في الجزائر سنة 1835 وينسبون الفضل في ذلك إلى المارشال كلوزيل في عهده الثاني وإلى كاتبه الخاص بيربروجر.

–يقول غبريال ايسكيد الذي أصبح هو محافظ المكتبة وبقي فيها مدة طويلة، إن 786 مجلدا ومخطوطا دخلت المكتبة بين أكتوبر 1910 ويوليو 1911، بعضها بطريق الشراء وبعضها بطريق الهدية، من الحكومة العامة ومن الوزارات المعنية.

2-6 المكتبة الجامعية بالجزائر العاصمة :

يرجع إنشاء المكتبة الجامعية إلى سنة 1880 حتُ تأسست أربع مدارس عليا في الجزائر لتكون هي نواة كليات الآداب والحقوق والعلوم والطب المقبلة وهذه الكليات هي التي أنبتت عليها جامعة الجزائر سنة 1909، وفقا لقانون إنشاء الكليات .وبالإضافة إلى المكتبة العامة والجامعية أنشأ أصحاب الكنائس مكتبات في نخصصهم لجلب القراء من أصحاب الديانات الأخرى بما فيهم المسلمون.

3-6 مكتبات الزوايا :

نقصد هنا زوايا الأرياف، لأن زوايا المدن قد عانت من مصادرة أوقافها ومن الهدم ولم يبق لذا دور يذكر أثناء الاحتلال، أما زوايا الأرياف فقد استمرت خلال أكثر من خمسين سنة وهي مراكز لدعوة الجهاد والتعليم العربي الإسلامي وخزائن الكتب والتراث.

4-6 المكتبات الخاصة أو الفردية :

كانت كثيرة في الجزائر رغم ما أصاب البلاد من حروب وهجرة ومصادرات وقد كان أصحابها قد حصلوا عليها بالوراثة أو بالشراء أو بطرق أخرى .ومن بين المكتبات الخاصة نذكر:

-مكتبة وادي ميزاب، مكتبة خليفة بن حسن القماري، مكتبة ابن سماية .

7- المتاحف :

عرفت الجزائر في بدايات الاحتلال الفرنسي استقبال عدد كبير من الفنانين، الذين كانوا مولعين بسحر الجزائر من عمارة إسلامية، و لباس وعادات وتقاليد جعلت مخيلة الفنان الأوربي خصبة لإنتاج عدد جد مهم من اللوحات المحفوظة اليوم بمتاحف الجزائر، ومتاحف العالم ،وباستقرار المستعمر لمدة قرن وثلاثين سنة استقر الفن في الجزائر وأسس لنفسه مدرسة جديدة عرفة بالمدرسة الجزائرية، رسمت واقع الجزائر ولم ترسم مخيلة الفنان المستشرق، بعد تشكل المدرسة الفنية.

كانت فكرة تشييد أول متحف بالجزائر سنة 1838م، بعدما كانت فكرة إنشائه في متحف اللوفر بباريس ولكن السيد بريسون كان يشغل منصب مقتصد مدني للجزائر خلال الفترة الفرنسية، أخذ قرار تشييده بالجزائر وضمه للمكتبة العامة، التي كان مقرهما في الثكنة الانكشارية قرب باب عزون،

ثم تأسيس مدرسة فيلا عبد اللطيف بعشر سنوات قبل احتفالية المئة سنة على احتلال الجزائر، خلال هذه المدة تضخم رصيد المتحف البلدي الذي كان يحفظ مجموعة من الأعمال الفنية، ولم يصبح قادرا على استيعاب المجموعة كاملة،

واحتفالا بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر وتزامنا مع المعرض العالمي بباريس تقرر إنشاء ثلاثة متاحف بمستعمرة الجزائر تعرض آثار قديمة ، إلا أنها كانت ذات توجه كلونيالي تعرض كل الحقب التاريخية المتعاقبة على الجزائر وتستثني الوجود الإسلامي وقزمت الاثنوجرافية المغاربية في الحرف التقليدية ذات الاستعمال اليومي للأهالي. فتم تشييد متحف الفنون الجميلة بالجزائر سنة 1930 بهذه المناسبة، وتأسيس متحف سيرتا ومتحف أحمد زبانة، كمتاحف جهوية لحفظ الأعمال الفنية.

8- المسرح :

إذا كان اتصال الجزائر بالحضارة الأوروبية من خلال الاستعمار الفرنسي قد جاء مبكرا، فإن المسرح في هذه البلاد لم يظهر للوجود إلا بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة، أي بعد مضي قرن من الزمن على الاحتلال. على أن هذه الظاهرة كان لها ما يفسرها و يبرر وجودها من أسباب مادية و معنوية، ساهمت بصورة أو بأخرى في تأخير نشأة المسرح في هذا البلد.

لقد كانت عملية الاستعمار ظاهرة صراع فكري و حضاري، فضلا عن كونها ظاهرة صراع اقتصادي و سياسي، استهدفت منذ البداية القضاء على الثقافة العربية في الجزائر، و طمس معالم الشخصية الوطنية. و قد ترتب على ذلك كله جمود فكري عاق تطور الثقافة العربية بشكل عام و الحركة الأدبية بشكل خاص، و كان الواقع الحضاري ينطوي على ألوان من الثقافة التقليدية. فظل الشعر هو الفن الأدبي السائد إلى جانب علوم الدين و علوم اللغة و شروح المصنفات. كذلك ازدهر الأدب الشعبي على اختلاف أشكاله التعبيرية، حيث أصبح يمثل مصدر التسلية الأساسي لكثير من الطبقات التي قل حظها من الثروة، خاصة البورجوازية الصغيرة و المتوسطة..

و إذا كان الجزائريون لم يعرفوا المسرح بالمفهوم الحديث إلا في مطلع القرن العشرين، فإن تراثهم لم يخل من الفنون القصصية و التمثيلية الشعبية التي أفرزتها ظروف تاريخية معينة كالرواية الشعبية، و الحلقة، و المداح، و الأراجوز، و هذا الموروث الشعبي على بساطته كان يشكل جزءا هاما من مكونات الشعب الثقافية و الفكرية، و تجسد ذلك في الإنتاج المسرحي الشعبي الذي انطلق في سنة 1926 على يد كل من علالو و رشيد القسنطيني و باش طارزي. فكان هؤلاء يستمدون موضوعاتهم من التراث الشعبي، كالسير الشعبية و حكايات ألف ليلة و ليلة... فضلا على أنهم كانوا يخاطبون الجمهور بلغته العامية لأنه لم يكن على مستوى عال من الثقافة المسرحية و على دراية بهذا الفن بحكم ظروف الاستعمار، و رغم ذلك كان يتفاعل مع العروض المسرحية و يتجاوب معها لأنها كانت تمثل الواقع الاجتماعي و تصور الحياة اليومية المضنية للفرد الكادح.